العدد: 01/ مارس 2024 المجلد: 19 ISSN: 1112-7015
ص:10-27 EISSN: 2602-5973

المفارقة الزمنيّة في سرد إسماعيل فهد إسماعيل الرو ائيّ

The Anachronism in Ismail Fahd Ismail's novel

ط.د/ فهد الهندال*[1] ، أ. د/ أحمد يوسف [2]

1- كلية الآداب والعلوم الاجتماعيّة، قسم اللغة العربيّة، جامعة السلطان قابوس، السيب، سلطنة عُمان
falhendal72@hotmail.com

2- كلية الآداب والعلوم الاجتماعيّة، قسم اللغة العربيّة، جامعة السلطان قابوس، السيب، سلطنة عُمان

تاريخ الإرسال: 2024/02/16	تاريخ القبول:2024/03/02	تاريخ النشر: 2024/03/30

****

ملخص:

تستكشف هذه الدراسة مفهوم المفارقة الزمنيّة في سرد إسماعيل فهد إسماعيل الروائيّ، وتبحث في علاقة تشكيل المفارقة الزمنيّة بذاتيّة الخطاب الروائيّ، من خلال تحليل أنواع المفارقات الزمنيّة وتأثيرها في العلاقة بين ذاتيّة الكاتب ونصوصه الروائيّة، عن طريق استعمالها للمفارقات الزمنيّة الممكنة، وأساليب السرد في التعبير عن الإمكانات، والشكوك، والأمور الافتراضيّة المتعلّقة بالزمن. وهذا ما قد يضيف طبقة أخرى إلى المفارقة الزمنيّة، حيث يتنقل المتلفّظون ليس فقط على صعيد ما حدث أو سيحدث، ولكن ما كان يمكن أن يحدث.

إنّ السرد ليس مجرد تسلسل زمنيّ للأحداث، بل هوعبارة عن أبنية زمنيّة في غاية التعقيد، وتمثّل فهم الإنسان وتجربته الزمنيّة؛ولهذا شكّل الزمن عنصرًا محوريًا في أعمال إسماعيل فهد إسماعيل الروائيّة، متجليًا في تقاطعات الأزمنة ودورها في تصنيف الأحداث السرديّة،لتستعرض الدراسة قبلها مفهوم الزمن في السرد وأهمّيته في تشكيل الخطاب السرديّ، والمفارقة الزمنيّة، وتأثيراتها في تطوّر الحدث الروائيّ، بالوقوف على آراء عدد من مُنظّري السرديّات، وتحليلهم لدور المفارقة الزمنيّة وبيان أنواع الزمن المُستخدمة، وإبراز أهمّية المفارقة الزمنيّة في تشكيل السرد وعلاقته بالذات المُتكلِّمة،واستكشاف الأبعاد التداوليّة لحركة الزمن من الماضي والحاضر، ثمّ إلى المستقبل المتخيّل، فيُمكن أن ترصد وجهات نظر متعددة حول الحياة، والذاكرة، والهُويّة، والتغيّرات الإنسانيّة والاجتماعيّة.

الكلمات المفاتيح: المفارقة الزمنيّة، إسماعيل فهد إسماعيل، الخطاب، السرد، الذاتيّة.

ABSTRACT :

* فهد الهندال

This research explores the concept of the Anachronism in novel narration, by applying it to some of the works of Ismail Fahd Ismail as a model. It examines how Anachronism the shapes the subjectivity of novelistic discourse, by analyzing the types of Anachronism and their impact on the relationship between the text and the writer's subjectivity, through the possible paradoxes of time, in how the narrative is able to express possibilities, doubts, and hypothetical matters regarding time. This may add another layer to the paradox, as speakers navigate not only what happened or will happen, but what might or could have happened. Narratives are not just sequences of events, but rather complex temporal structures that reflect human understanding and experience of time. For this reason, time formed a pivotal element in Ismail's works, manifested in the intersections of time and its role in classifying narrative events. Before that, the research reviewed the concept of time in narrative and its importance in shaping narrative discourse, Anachronism, and its effects on the development of the narrative event, by examining the opinions of a number of theorists on the Anachronism. And analyzing the role of time paradox in the types of time used, on the importance of time in shaping the narrative and the writer's subjectivity, by exploring the multiple dimensions of time, from the past and present to the imagined future, so it is possible to monitor multiple points of view about life, memory, identity, and human and social changes.

Keywords: Anachronism, Ismail Fahd Ismail, discourse, narrative, subjectivity

إشكال الدراسة:

يشكّل الزمن جملة من التصوّرات التي يمكن أن تندرج تحته، بحسب النظريات والاتجاهات النقديّة المتعددة والمختلفة أو المتقاطعة مع بعضها. مما قد يجعل الباحث يواجه عددا من الصعوبات تتمثّل على وجه الخصوص في انتخاب المصطلح الأقرب والأنسب إلى الذاتيّة في الخطاب السرديّ كما يتمثّله مبحث التداوليّات. وهو ما يستلزم الإحاطة بإشكاليّة استعمالات الزمن في سرد إسماعيل فهد إسماعيل الروائيّ، ولا سّيما إذا ركّزنا على "المفارقة الزمنيّة" في ضوء السرديّات التداوليّة، لمعرفة معضلة العلاقة الملتبسة بين زمن القصّة وزمن الخطاب،ودورها في تشكيل البنية الزمنيّة السرديّة، وإحالاتها المباشرة وغير المباشرة،وارتباطها بتحولات الحدث.وآية الإشكال تكمن في علاقة المفارقة الزمنيّة، بذاتيّة الخطاب السرديّ في مدونة إسماعيل فهد إسماعيل الروائيّة.

أهميةالدراسة وأهدافها:

يتربّع الزمن في منجز إسماعيل فهد إسماعيل الروائيّ على مساحة واسعة، ويشكّل بعدا فنيّا وفكريّا جديرا بالبحث والتحليل.وعلى الرغم من أنّ أعماله السرديّة قد حظيت بالعديد من الدراسات الأكاديميّة والأبحاث الجامعيّة، وشملت جوانب متعدّدة من تقنيات الكتابة السرديّة وأساليبها، فإنّ تقنية الزمن كانت أقلّا لموضوعا

تحظًّا وعناية بالاستقصاء والدراسة والتحليل؛ ذلك لأنّ الزمن يشكّل قيمة مهيمنة في خطاب إسماعيل السرديّ. وقد تجلّت أهمّية الزمن في منجزه، نظرًا لما تميّز به من أساليب متنوّعة في التركيب والاستعمال، وحتّى في التجريب.

لقد اتسمت أعماله بكتابة سرديّة اعتمدت على تقاطعات الأزمنة فيما بينها، وتداخل بعضها مع الذات المتكلّمة (إسماعيل فهد إسماعيل)؛إذ شكّل الزمن جوانب متعدّدة في تصنيف الحدث السرديّ، وتحديد منظور السرد من الحدث. ومن فرط البداهة ألّا يمكن لأيّ باحث في السرد أن يُغفِل عنصر الزمن، لأهمّية بنائه وتأويله في مقاربة النصّ مع كاتبه عبر المفارقة الزمنيّة؛لذلك تهدف هذه الدراسة إلى بيان دور المفارقة الزمنيّة في تشكيل ذاتيّة الخطاب في المدونة المحدّدة، مع بيان أنواع المفارقات الزمنيّة فيها، لتأويل بعض جوانب السرد بغية تقريب العلاقة بين النصّ وذاتيّة الكاتب. وبعد بحث واستقصاء استقرّ هيكل الدراسة على النحو الآتي:

- المقدمة
- أولا: أنماط السرد
- ثانيا: المفارقة الزمنيّة
- ثالثا:أزمنة الأفعال والذاتيّة
- الخاتمة
- النتائج
- قائمة المصادر والمراجع

مقدّمة:

من المعلوم أنّ الحدث السرديّ يقع في مكان معين وزمن محدّد.وهما عنصران سرديّان متلازمان في المحكي. وعلى الرغم من ذلك، فإنّ بعض مُنظّري السرد، فضّلوا دراسة كلّ منهما دراسة منفصلة. وكلّ منهما يُشكّل عنصرا قائما بذاته؛ وذلك من أجل الوصول إلى معايير ووظائف كلّ منهما على حِدة؛ حيث يرى المختصّون في السرديّات أنّ الحدث السرديّ بقوالبه المتعددة وأشكاله المختلفة يعدّ فنًّا زمنيًّا بحتا؛ لأنّ الحدث السرديّ لا فكاك له عن الزمن.فهو يحكم العمل الروائيّ -على سبيل المثال- في مستوياته المختلفة؛ وذلك لأنّ الرواية فن قصصيّ، والقصّ أكثر الأنواع الأدبيّة التصاقا بالزمن. وكلّ قصّة تتطلّب نقطة انطلاق في الزمن، وهذا ما درج عليه السرد التقليديّ في عتبة معظم الحكايات الشعبيّة التي تُفتتَح بالبرتوكول السرديّ الآتي:"كان يا مكان في سالف العصر والأوان"؛ حيث تدلّ على أنّ الزمن وسيط الحياة والموضوع الأزليّ الذي شغل الإنسان في كلّ قصّة يحكيها.[1]

إنّ العناية بزمنيّة السرد في التحليل، لا يقصد بها الزمن الخارجيّ من حيث إنّه المرجع الذي تصدر عنه الأحداث فحسب، وإنّما المقصود بهالزمن الداخليّ أو المتخيّل الخاصّ، أي بنيته الزمنيّة التي تتحدّد بإيقاع حركتها ومساحتها والاتجاهات المختلفة أو المتداخلة التي تتضمّنها هذه البنية، كما تتشكّل على وَفق ملامح أحداثها وطبيعة شخصيّاتها ومنطق العلاقات والقيم داخلها، ونسيج سردها اللغويّ، ثمّ أخيرا دلالاتها العامّة المتشكّلة من ووحدة هذه العناصر وتشابكها وتضافرها جميعا. وعليه فلم يحكم أعمال إسماعيل فهد إسماعيل الروائيّة نمط سرديّ واحد؛ وإنما سنقف في خطابه الروائيّ على أنماط سرديّة عديدة.

أولا: أنماط السرد

أصبح من النادر جدّا بالنسبة إلى روائيّ مثل إسماعيل فهد إسماعيل أن يغفل الزمن داخل بنية رواياته أو قصصه؛ وذلك نظرًا لأهميّة الزمن في تحريك الحدث السرديّ. ولإتمام هذه البنية وتحقيقها، لا بدّأن يمتلك الروائيّ الخبرة والوعي الشديدين، ويتحكّم في استعمال بالزمن تحكّمًا دقيقًا. فكلّما ازدادت تلك الخبرة، ازداد وعيه بالزمن السرديّ. الأمر الذي ينعكس بدوره على إنتاجه السرديّ، بل إنّ بعض الباحثين ذهبوا إلى أبعد من ذلك حين جعلوا فهم أيّ عمل روائيّ متوقفا أساسا على فهم الزمن فيه، كما أنّهم أدركوا أنّ الاختلاف بين عنصري الزمن والمكان يكمن فقط في طريقة توظيفهما روائيّا، حيث يمثل المكان الخلفيّة التي تقع فيها أحداث الرواية،في حين يمثّل الزمن الأحداث نفسها وتطوّرها.

لقد فصل النقاد بين عنصري الزمن والمكان من حيث إدراكهما. فالزمن عندهم يُدرك نفسيّا، وهو أعلى درجات الإدراك وأسماها. في حين يُدرك المكان، لكونه حسيًّا، بوساطة الحواس، وعلّلوا إدراك الزمن نفسيّا بأنّ الزمن في ذاته غير مدرك، وإنّما يدرك أثره فقط، ومن ثمّ كان وجوده مرهونا بوجود الوعي به، أو الإحساس به؛ وهو بذلك يصبح معطى مباشرا للوعي والوجدان، ويقترن بالحالات الشعوريّة والنفسيّة في النصّ الأدبيّ. وهذا ما يوسم أيضًا عند بعضهم بالزمن السيكولوجيّ، لكونه – الزمن – يكتسب معاني مختلفة في الأنساق الأدبيّة المتنوّعة، ويختلف من إطار مرجعيّ إلى آخر. وهذه المرجعيّات تنبع من حالات نفسيّة غير مشتركة في زمن واحد، حيث إنّ لها نمطها الزمنيّ الخاصّ بها، وترتبط بزمن المتلقي نفسه ارتباطًا نفسيًّا يكون له أثر واضح في أثناء عمليّة التلقي. وعليه فإنّ جيرار جونات يرى أنّ زمن المحكي المكتوب زمن كاذب، لكونه ليس له مدّة محدّدة الشكل، خلاف المحكي الشفهيّ.[2]

وعلى ضوء هذا التمييز، حُدّدت أربعة أنماط من السرد، هي على النحو الآتي:[3]

(1) السرد اللاحق **Posterior Narration:**

إنّ السرد اللاحق(**prolepse**) ماثل في العديد من روايات إسماعيل فهد إسماعيل التي تستعيد أحداث الماضي، ووقائعه. أي أنّه سرد يلحق زمنيّا الأوضاع والأحداث المسرودة في الخطاب الروائيّ. ومنه ما جاء في سرد المتكلّم في رواية في حضرة العنقاء والخل الوفي؛ إذ أخذ موضعًا مناسبًا ساعده على عرض الوقائع والأحداث، واسترجاعها. مثلما يتّضح في هذا الملفوظ السرديّ:

"تمشيا مع التبرير أعلاه أبدأ التدوين انطلاقا من موقف مفصل. في واحدة من أماسي شهر أغسطس ١٩٧١ فاجأني المخرج المسرحي صقر الرشود...أيامنا تلك، مقر مسرح الخليج العربيّ، بيت عربيّ منطقة النقرة، ضفة شارع موسى بن نصير، باحة البيت، باتساع فاره، صفّت وسطها أرائك خشبية عارية متقابلة إلى جانب طاولات صغيرة، نموذج لركن مقهى شعبي"[4]. وكما هو بيّن فإنّ المتكلّم يستعيد أيامه السابقة مع المخرج صقر الرشود. في مقر مسرح الخليج. وهنا تبرز ذاتيّة المتكلّم في الخطاب السرديّ، في رغبة الانتماء لزمن محدد في عملية الاستذكار التي تعزز هويته وعلاقته مع المكان في بداياته بحسب الوصف أعلاه. فكل عودة للماضي تشكّل استذكاراً يقوم به لماضيه الخاص، ويحيلنا من خلاله على أحداث سابقة على النقطة التي وصلتها القصة. و هناك وظائف أخرى للاستذكار، كالإشارة إلى أحداث سبق للسرد أن تركها جانباً ثم اتخذ الاستذكار وسيلة لتدارك الموقف و سدّ الفراغ الذي حصل في القصة، أو العودة إلى أحداث سبقت إثارتها، تكراراً يفيد التذكير، أو لتغيير دلالة بعض الأحداث السابقة .

(2) السرد السابق **:Anterior Narration**

هذا نوع من السرد(**analepse**) الذي يسبق الأحداث والأوضاع زمنيّا قبل وقوعها. وهو معني بالحكاية المستقبليّة أو التكهنية، دون أن يمنع شيء من صياغتها بالحاضر؛ إذ يسرد المتكلّم أحداث الرواية ووقائعها قبل وقوعها. وهو ما يسمى بالاستشراف أو التنبؤ. كما هو الحال في الروايات التنبؤيّة أو ذات طابع الأحلام. وهو ما يمكن أن يكون حاضرا في سرد رواية (السبيليات)؛إذ يفتتح لكاتب روايته بفصل عنوانه "للكاتب كلمة"تحدّث فيه عن اتصال ورده من صديق صحافيّ هل في خريف 1988، سأله عن منطقة خضراء في جنوب البصرة تسمى السبيليات؛ ولأن الكاتب ولد بها، وبسبب الفضول طلب منه أن يذكر سبب بقائها خضراء طوال الحرب العراقيّة الإيرانيّة: "ختم صديقي حديثه. بصفتها مسقط رأسك يلزمك أن تكشف السر.."[5].ما يعني أنّ السرد في فصل للكاتب كلمة جاء سابقا في الرواية الذي غلب عليها السرد اللاحق، وكأنه استباق للسرد، وانتقال مركزية التلفظ من الذات المتكلمة إلى متكلم وذوات متلفظة لن تسلب الذات المتكلمة سيادتها على السرد ولو لم تكن حاضرة صراحة في القص المكتوب بضمير المتكلم، وفي السيرة الذاتية، حيث يحكي السارد قصة حياته ، و هو يعلم ما وقع أو ما سيقع، فإنه موجود في السرد الروائي لإسماعيل، في مواطن كثيرة ، على الرغم من سرديتها التقليدية .

تكرر الأمر ذاته تقريبا، في رواية (مسك)؛ حيث جاء مفتتح الرواية مشحونا بالسرد السابق الذي يشي بأحداث سيتناولها السرد لاحقا: "في الزمن والمكان المناسبين.. بإمكان إنسان ما أن يعزل حاله عمّا حوله. يصمت من خارجه. " كيف لك أن تعزلك عن داخلك.. لتصمت هناك؟!"

- ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا..

"أبدت.. ولم تبخل!"

- ويأتيك بالأخبار..

ينهرك صوتك الداخليّ:

- اخرس!! "[6]

تضمن الاقتباس حوارا بين ذات وذات أخرى، قد تكون الأولى متكلّم، والثانية ذات متلفّظة، يعبّران كلاهما عن الذات المتكلّمة (مؤلف الرواية)بما يفيد توجيه الحدث السرديّ نحو الأمام، واستباق لما سيكون من فعل التلفظ المرتبط ضمنيا بذات المتكلمة. ويكاد يشترك عدد من الروايات المختارة لإسماعيل في هذه المدونةفي ذات السرد السابق في فصولها الأولى. ففي رواية (عندما اسمك في طريق.. ورأسك في طريق أخرى)، تضمّنت ما يشبه الاستشراف لرحلة طويلة:

" المكان الآن. حضوره أو حضورك فيه. وقبلها كنت قد ارتدت مواقع قفرا لا حصر لها.

"جرداء من أيّما زرع أو ضرع!"

الزمان يكاد بلا حساب، فتخاله حصيلة لأزمنة عدّة، متداخلة بقدر ما هي متباعدة"[7]. وكأنّ السارد يمهّد لهذه الرحلة المتقاطعة في الأزمنة والأمكنة، وتداخل الحوارات مع السرد، يظهر حالة من التواتر الزمنيّ، بما يحقق المفارقة الزمنية في كثرة الاسترجاع والاستباق معا في المدونة، مما يعطي انطباع عن قصدية المؤلف في ربط الزمن بخياراته في العودة للماضي أو الذهاب للمستقبل انطلاقا من حاضر السرد.

(3) السرد المتزامن **Simultaneous Narration:**

تتزامن فيه القصّة مع الخطاب،بمعنى تكون يتساوى زمن السرد مع زمن القصّة، بما يكون موثقا في تأريخ نشر الرواية، أو قد وقع في الماضي القريب. وهو ما يمكن التقاطع في هذه الجملة السرديّة لرواية (في حضرة العنقاء) التي صدرت فيالعام 2013، يتحدّد زمنها السرديّ بالعام 2010:

" بدأت كتابتي إزاء زمن موغل، صيف عام ١٩٧١م، انطلاقا من مسرح الخليج في منطقة النقرة، أبدأ كتابتي عن الزمن الآن، صيف ٢٠١٠، انطلاقا من مسرح الخليج في منطقة السالمية، بيت عربيّ مترامي المساحة، ينفتح بابه على ناصية طريق خلفية، بما يمنحه ميزة العزلة"[8].ولعل تزامن القصة مع الخطاب هنا، واضح في المفارقة الزمنية حول مكانين لكيان واحد (مسرح الخليج) في زمنين مختلفين، وسرديين متباينين، كما هو الوعي الذي اختلف لدى شخصية المنسي (المتكلم) وهو الكائن الشاهد على تبدل الزمن والمكان.

(4) السرد المقحم **Intercalated**[9]:

ويسمى أيضا المتخلّل أوالمندمج، ويأتي بين لحظات الحدث، كما هو حال روايات الرسائل واليوميّات. وهذا النمط، هو الأكثر تعقيدا، ويتّضح في اليوميّات أو البوح الترسليّ. وفي هذا النمط السرديّ، يقود القصّ بطل الرواية، إلى نقطة ينتظره فيها السارد، لكي يجتمعا في النهاية، كما في رواية طيور التاجي؛ حيث احتوت على ثلاث مستويات من السرد متوازية في الزمن والحدث، مترابطة عبر ذات متكلّمة، بتعدد مستويات التلفّظ: (المتكلّم، المُخاطب، الغائب):

"اليوم 2/25 عيد وطني، ولأنه كذلك آل عطلة رسمية مطلقة"[10]. لينتقل لسرد المستوى الثاني "ضحى هذا اليوم 2001/2/25 تولّى رجال الاستخبارات العراقية تجميع عشرات أسرى كويتيين من أماكن اعتقال متفرّقة داخل أحد عنابر معسكر الوشّاش في الحارثية"[11]. ولعل استعمال تاريخ 2/25 حيلة زمنية من الذات المتكلمة في قصدية التاريخ وهو الموافق لعيد الكويت الوطني في أزمنة مختلفة، الإستقلال/الغزو والاحتلال/ السر/ التحرير، وما قد يكون انعكاسا للوعي المتباين في الذوات المتلفظة خلال هذه الأزمنة التي ارتأى المؤلف لها هذه المفارقة الزمنية. ولعله كذلك في رواية (مسك)؛ حيث التداخل الزمنيّ بين أفعال السرد (الماضي، الحاضر، الأمر):

"الذكريات -لمّا تنقطع بنفسك مع نفسك- متواليات عديدة تأخذ برقاب بعضها.. حلقات عنقودية.

-اخرس!!

تخف موسيقاهم الكلاسيكية رويدا، تتلاشى من الخلفية.

-السادة المسافرين..

صوت كبير مضيفيهم يتردد في مكبّر الصوت:

- رجاء ملازمة المقاعد وربط الأحزمة..

"أوان الهبوط"

صدرت همهمات ارتياح عن المقاعد المجاورة تابع كبير المضيفين:

- دقائق قليلة، ثمّ..

أكمل خبره. تابع:

- درجة الحرارة الحالية..

أكمل خبره، في حين مال جسد الطائرة جانبا. يلزمها أن تؤدي دورة محددة في فضاء مدينة أثينا استعدادا للهبوط".[12]

أتاحت الأزمنة المتداخلة والمتفاوتة بأزمنة الأفعال فيها، في تنويع الذات، ما بيت الذات المتكلمة، المتكلم والذات المتلفظة، وهو ما تمت الإشارة إليه سابقا في تعدد مستويات السرد في رواية مسك.

بعد الاطلاع على أمثلة للأنواع الأربعة لنمط السرد، فإنّ تحليل العلاقة بين زمن السرد وزمن الحكاية مهم في تمييز نمط السرد، وفي تحرّي المدّة الفاصلة بين الحدث، وزمن سرده. كذلك فإنّ علاقة السرد بالوصف، علاقة متجاذبة بين ما ينهض به السرد، وما يقوم به الوصف. فالوصف هو تأخير الحدث، في لحظة زمانيّة ساكنة معينة. لهذا فهناك من يرى الوصف نمطا، من أنماط السرد[13]. في حين أكثر الأنماط السرديّة شيوعا عند إسماعيل في مدونته المُختارة، هو السرد اللاحق منها، وهو الأكثر إيهاما بالواقع. "فالسرد هو المولد للحدث، بل هما ينشآن معا في اللحظة ذاتها. وما استعمال صيغ الماضي إلا وسيلة فنيّة يعمد إليها للإيهام بواقعيّة ما يروى وإلى شد المتلقي ودفعه إلى ولوج العالم التخيلي. فانقضاء الأحداث أو بالأحرى الإيهام به قد يعد في نظر المتلقي دليلا على واقعيّتها "[14]. ويمكن ملاحظة هذا الإيهام في حكي السارد في رواية (على عهدة حنظلة):

" ما سأرويه لك لا يعدو كونه نقلا حرفيا عنك. شفّ صوته بما يشبه الحنين. كانت واحدة من أمسيات خريف الكويت عام 1969 بعد تركك العمل في مجلة الطليعة والتحاقك بجريدة السياسة، كنت تجالس صديقا لك في غرفة الاستقبال من شقتك المُطلة على شارع موسى بن نصير/ منطقة النقرة. لو قلت له. تتحدث عن زمن وأماكن لست قادرا على تذكّرها. آثرت ملازمة الصمت".[15] وكأن السرد يبوح بنوع من التوثيق لما حدث عبر سرد استذكاري مع الشخصيّة الواقعيّة ناجي العلي في حوار متخيّل وهو في غيبوبة محاولة الاغتيال، فيعتمد السرد على حوار بين سرد واعٍ متخيّل من ماض، وسرد حاضر غير واعيّة.

كذلك يمكن استشعار واقعيّة ما حدث في رواية الظهور الثاني لابن لعبون، وهي رواية أقرب ما تكون للسرد التاريخيّ لاحتوائها على شخصيّات واقعيّة في تاريخ الكويت أمثال: ابن لعبون، الدكتورة اليانور، الكابتن والمعتمد السياسيّ البريطانيّ في الكويت شكسبير، الشيخ مبارك الصباح وغيرهم، بخلاف شخصيّة السارد/ جان الذي

تكفل بالسرد، موهما بالتخيّيل واقعيّة ما حدث، مع استعارة بعض الأحداث والشخصيّات التاريخيّة في سرد الرواية:

"من أجل أمانة تاريخية: ورد في كتاب تاريخ الكويت لشيخ عبد العزيز الرشيد، بطبعته الثالثة الصادرة عن دار قرطاس عام 1999 في الصفحة 92 أن أحد الشيخين (.. صارح بعض معتقديه في مجلس عام بقوله إن قتل ثلاثة من اهل الكويت ثمن لدخول الجنة بغير حساب. هم الشيخ يوسف بن عيسى الجناعي والشيخ صقر بن سالم الشبيب وكاتب هذه السطور)"[16].كذلك، فإن تقارب السرد والحدث زمنيّا، قد تهدف الذات المتكلّمة من ورائه إلى إبداء قصد محدّد. قد يكون المتلقي قد عايشزمن الكتابة والسرد على السواء، وكأنّه عاش الحدث الحقيقيّ بالفعل. إلّا أنّ هذا الواقع يختلف من متلق لآخر، كما هو مختلف من نصّ لآخر، على نحو ما نلفيه في رواية (طيور التاجي)، ومنها هذا الملفوظ بوصفه شاهدًا على ذلك: "فجر يوم 9 أبريل جاءهم من فتح أبواب زنازينهم، أنتم مُطلقو السراح بناء على مكرمة من السيد الرئيس قضت بفتح أبواب المعتقلات والسجون العراقية. تعانق أيمن وريسان، تفاجأ أيمن بانتحاب ريسان على صدره. كنت خائفا عليك. خرجا معا إلى الطريق، عرفا بدخول طلائع آليات الجيش الأمريكي ضواحي بغداد الجنوبية، لا وجود لقطاعات جيش عراقي ولا لرجال أمن.."[17]. وهكذا استدلّ المتكلّم على الزمن في السرد بيوم سقوط العاصمة العراقيّة بغداد بيد القوات الأمريكيّة في 9 أبريل 2003، والرواية صدرت في العام 2013، ومن ثمّ يكون زمن السرد قريبًا من زمن الحدث.ولا غرو أن يرى بريخت، أنّ الواقع مهما كانت إعادة تصويره كاملة، فإنّه -لا محالة-تطاوله يد التغيير، والتعديل. مادام أنّه خاضع للصياغة، والحصول على شكل ما. وهو بذلك، يعارض اعتبار الواقع الأدبيّ، مجرد صيغة من صيغ المعرفة. إنّما هو وعي، يساعد على تغيير الطبيعة والمجتمع[18].إنّ جنس الرواية واقع أدبيّ، يهدف إلى رسم واقع معين للمتلقي، وله صلة، بعدة أوجه أخرى للواقع العامّ[19]. ورسم هذا الواقع، يعتمد بعد ذلك على طريقة تقديمه.

ولأنّ السرد الروائيّ، هو تقديم فنيّ منظّم لكلّ الحوادث الرئيسة المتكررة، فإنّ البنية السرديّة لهذا التقديم، هي الحبكة، معروضة من خلال وجهة نظر[20]، وذلك من خلال علاقة السارد بنسق الأحداث، وصيغ الأفعال في الخطاب. فالأحداث التي تقع في السرد الروائيّ، أو التي تقوم بها الذوات المتلفّظة (الشخصيّات). إنّما هي أحداث أو أفعال تتوالى في سياق سرديّ، تبعا لمنطق خاص بها، يجعل وقوع بعضهم مترتبا على وقوع بعضهم الآخر، مما يعني وجود منطق وراء هذا التسلسل في الأحداث، حتى وإن بدا هذا التسلسل عبثيا، أو أنّه يوحي إلى الفوضى لغاية ما[21]. لهذا يعدّ نظام الأحداث في الخطاب، من أهم العلامات المحيلة على المتلفّظ، وهو يمارس وظيفته الأساسيّة، وهي التلفّظ، عبر روابط أخرى، منها المفارقة الزمنيّة.

ثانيا: المفارقة الزمنيّة Anachronism

هناك من يُطلق عليها المفارقات السرديّة Les anachronies narratives[22]، يتناول هذا المصطلح التوتر والتفاعل بين الزمن الحقيقيّ وكيفية تمثيله في اللغة. ففي الحياة اليوميّة، يكون التفاعل مع الزمن بطرائق ملموسة، مثل مرور الساعات والأيّام. ولكن، عند محاولة تمثيل هذه التجارب الزمنيّة في اللغة، يمكن مواجهة تحديات ومفارقات. ويُتعرَّف إلى التنافر بين ترتيب الأحداث في الخطاب السرديّ وترتيبها في الحكاية، عبر إشارات زمنيّة قائمة في الخطاب صريحة أو ضمنية.[23]كما هو السرد في روايات:(في حضرة العنقاء) و(الخل الوفي)، و(طيور التاجي)، و(على عهدة حنظلة)، و(صندوق أسود آخر)، بما تضمّنته من زمن سرديّ مُشار إليه باليوم والشهر والسنة، وفي بعض المشاهد بالساعات أيضا لكون الأعمال الأربعة تكاد تكون يوميات أو رسائل مُعاد قراءتها ثانية.

تتناول السرديّات التداوليّة كيفية استخدام اللغة لتمثيل وتفسير تجارب الحدث في السرد عبر عدة تقنيات، ستتناول الدراسة إحداها وهي المفارقة الزمنيّة، أو كما أسماها جونات(L'anachronie) :"وهي تقتضي ضمنا وجود نوع من التوافق الزمنيّ بين الخطاب والحكاية وهو الذي في ضوئه تضبط أنواع المفارقات"[24]. فقد يكون هناك فارق بين الزمن كما يُعاش وبين كيف تصويره وروايته؛هذا الفارق يمكن أن يكشف عن تعقيدات في اللغة والتواصل البشري، ويبرز الدور المحوري للزمن في تشكيل السرد؛ في هذا السياق، يسعى الباحثون لفهم المفارقة الزمنيّة وتأثيراتها على السرديّات التداوليّة، وكيف يمكن أن تؤثر على فهم وتفسير العالم.

في حين، يركّز مفهوم المفارقة الزمنيّة لدى إميل بنفنيّست على التناقض بين التقدم الزمنيّ الخطي كما يكون مفترضا وتمثيل الزمن غير الخطي حاضرا، وغالبًا ما يكون مجزأً في اللغة،بحيث يصبح هذا التناقض واضحًا عندما يتم النظر إلى كيفية استخدام الأزمنة الماضية، والحاضرة، والمستقبلية في اللغات لوصف الأحداث التي لا تتبع بالضرورة ترتيبًا زمنيّا[25].وهذا ما يعني التفريق بين الزمن التاريخي والزمن السرديّ.

فالزمن التاريخي هو التسلسل الفعلي للأحداث كما تحدث في الواقع. هذا الشكل من الزمن مطلق ولا يعتمد على المتحدث أو الاستماع، وهو ذات المفهوم عند بارت وهامون وتودوروفوواط، "بأن اللغة لا تُحاكي إلا نفسها، أما الموضوعات الأخرى غير اللغوية لا يُمكنها إلا أن تدل عليها فقط، وأن الاعتقاد بوجود اتصال أو علاقة مباشرة بين الكلمات والمراجع مجرد وهم![26]".وتمت الإشارة سابقا لمثل هذا الزمن الأقرب للتدوين التاريخي في رواية الظهور الثاني لابن لعبون، وهنا إشارة إلى الماضي الصريح:

" حوالي الساعة العاشرة من صباح اليوم الرابع لوصولي إلى الكويت وجّهت سؤالي الحائر لزميلتي في المستشفى الأمريكاني الدكتورة إليانور. كيف عرف الصبية الكويتيون الصغار أني إنجليزي منذ الساعة الأولى التي وطئت فيها قدمي أرض مدينتهم"[27]. فهنا تحديد الساعة واليوم والمكان والشخص المُخاطب في الافتتاحية النصية

لرواية الظهور الثاني لابن لعبون وكأنها تشي بأن السرد سيكون تاريخيا، توثيقيا؛ وهو ما سيستمر على مدار الفصول اللاحقة.ليحدد السارد / جان، محددا بداية زمن التدوين المحتمل، كما يمكن ملاحظته هنا:

" الزمن بحساب الأيام أو الكوارث الجسام، أذكر أن تبادلنا حديثنا مار الذكر يوم الثالث من يناير عام1913، بعد مرور حوالي سنة من تاريخه سألتني إليانور إذا كنت أنوي مباشرة الكتابة عن أحداث عصفت بنا وبما حولنا مهددة وجودنا بصفتنا أجانب هنا إضافة لآثارها التي انسحبت على أناس عديدين نعرفهم، بادرتها في حينه بردي"[28]. وهنا تحديد لزمن السرد باليوم والشهر والعام، بما قد يعني محاولة التوثيق للزمن التاريخي الذي تنطلق منه الرواية، والسبب الذي قد يكون خلف تدوينها، وهو ما يعبّر عنه السرد " الزمن بحساب الأيام أو الكوارث الجسام"[29]، أي أن حدثا سيكون سببا مباشرا لهذا التدوين، أو لما بعد التدوين، كفعل استباقي للماضي، كما جاء في سرد المنسي بن ابيه في رسالته لابنته التي لم يرها بعد:

"ألفت انتباهك زينب، زمن الكتابة الآن صيف كويتي عام ٢٠١٠ ، محاولة استعادة حدث من خريف دمشقي عام ١٩٨٥.. حول طاولة صغيرة عند ناصية طريق في حي السيدة زينب وأنا أسمع حديث أمك تولّد لدي يقين ليس البدون وحدهم ضحايا ظلم وإنكار وجود، المرأة بدون نوع ثان.[30]".

يلاحظ فيما سبق اقتران المفارقة الزمنيّة في الزمن السرديّ بإشارات أو قرائن تحدد الزمن الصريح، وكأنها أقرب في ذلك للسرد التاريخي. في حين يمكن أن تكون المفارقة الزمنيّة في الزمن السرديّ، بحسب سرد الأحداث ليس كما حدثت، ولكن كما تم تذكرها أو كما تحمل أهمية للراوي. وهذا يعني أن الأحداث يمكن سردها خارج التسلسل، مع التأكيد على أهمية بعض الأحداث عن الأخرى، ويكون ذلك من خلال قرينة غير مباشرة[31].ولعل مدونة إسماعيل حافلة بهذه المفارقات الزمنيّة دون تحديد أو إشارة إلى الزمن:" عصر أحد أيامهم جاءهم ابنها حميد بفاكهة البرتقال من سوق النجف، هفا قلبها، تذكرت زمنا مضى سبق ولادة أيّ من أبنائها، لمّا مرضت فوجئت بدخول زوجها حاملا أربع حبات برتقال.مرة أولى تذوقت فيها البرتقال، كان ذا طعم ساحر لم تصادفه في أي فاكهة أكلتها بعد ذلك، تتذكر بستان الباشا ... تفتح جفنيّها، هنا الآن، الكلّ مشغول بحياته"[32]. فالزمن هنا داخل الحكاية، من خلال قرينة زمنيّة إشارية غير مباشرة (عصر أحد الأيام) فلم يحدد هذا اليوم،مع استناد لوجهة نظر الشخصيّة لا السارد، في لحظة تذكر طعم البرتقال الساحر في زمن سابق، لتقطع سرد التذكر بلحظة زمنيّة (هنا الآن)وكأنه ترجع لذات واعية، تُسند بعض/ كلّ العناصر التعبيرية إليها في العمل[33].فإن كان بعض، فهناك أكثر من ذات واعية (الذات المتكلّمة، ذات المتلفظة والمتكلّم)، وإن كان كلّ، فهناك احتمال أحد الذوات الواعية الثلاث. وهو ما قد يرتبط بوجهة نظر هذه الذوات في السرد.

ثالثا: أزمنة الأفعال والذاتيّة

زعم بنفنيّست أن أزمنة الأفعال في اللغة ليست مجرد أدوات للإشارة إلى زمن حدوثها،بل ترتبط ارتباطًا عميقًا بوجهة نظر المتكلّم، على سبيل المثال، الزمن الحاضر ليس مجرد علامة للزمن الحالي؛ إنه انعكاس لموقع المتحدث الحالي في الزمن، وبالمثل، الأزمنة الماضية والمستقبلية دائمًا نسبية للحاضر المتحدث. وتوفر رؤى بنفنيّست حول المفارقة الزمنيّة مستويان متمايزين: زمن قول الحكاية وزمن الخطاب. وبحسب بنفنيّست، هناك زمنان مرتبطان بوجهة نظر المتكلّم[34]:

1- زمن قول الحكاية: وهو مقصور على اللغة المكتوبة، فهو يستبعد كلّ شيء لغوي ذاتيّ، باعتباره قصا لأحداث من الماضي أو عرضا لوقائع حدثت في وقت ما من الزمن دون أي تدخل من المتكلّم في القص، فزمن الأحداث خارج شخص الراوي.

"مع بدء تصاعد وتيرة الحرب بين العراق وإيران "سبتمبر/ أيلول 1980- أغسطس/ آب 1988" أصدرت القيادة العراقية بيانا ملزما مفاده (حرصا على سلامة مواطنينا القاطنين في القرى والبلدات القريبة من ساحات المعارك رسمنا بما هو آت..) تتذكر أم قاسم.. "[35]. حيث ينفصل زمن الخبر هنا عن كلّ ما هو ذاتيّ، لكون سرد غير ذاتيّ، بفعل سارد خارجيّ غير مشارك، في وضعية حضرت فيها القرينة الإشارية في الزمن المُحيل إلى زمن السرد الحرب العراقية الإيرانية في عام 1980، وزمن الإخبار بالقول (تتذكر أم قاسم)، فهناك زمن الإخبار (1980) وزمن القول المنفصل عنه (1988)، كما يتضمن وجود حكايتين، حكاية رئيسية أم قاسم لكونها تتولى القول بفعل التذكر والاسترجاع، وحكاية ثانوية الحرب التي انتهت في عام 1988.

2- زمن الخطاب: يُحيل على كلّ قول مفترض متكلّما/ مُخاطَبا مع قصد الأول التأثير في الثاني بطريقة من الطرق. فالخطاب هنا عكس الخبر يستخدم بحرية كلّ صيغ الأزمنة الممكنة إلا الماضي المبهم، لكون الأزمنة الأساسية للخطاب هي الحاضر/ المستقبل/ الماضي المركّب[36]. واحتوت مدونة إسماعيل الروائيّة المختارة على أزمنة الخطاب بشكل مكثّف، كرواية في حضرة العنقاء والخل الوفي؛ فهناك زمن الحاضر في أول مفتتح الرواية وهي رسالة موجهة من المنسي إلى ابنته زينب، أي على نية قراءتها لاحقا(مستقبل): "يا زينب، منذ عام 1996، كنتِ وقتها في خامستك، وأنا أجاهدني بالكتابة إليك، أشرعُ أسوّد عشرات الصفحات ثم أنقلب عليّ جرّاء يقيني إني بغفلة منّي أكتب بانفعال غير مبرر، أصرفنيّ عن الكتابة سنة أو أكثر، ريثما يعود توقي للتواصل بكِ، أُقبل على الكتابة، لأنصرف عنها بعد قليل للسبب إياه، كلّ بداياتي تلك حفظتها داخل ملفت تحمل تأريخها آملا أعود إليها أوظّفها ضمن مروع واحد أتمنى وصوله إليك كاملا، الليلة اتخذت قرار البدء من جديد دون العودة لما راكمته في مرات سابقة، كذلك آليت على نفسيّ أكتبها خبط عشواء، غير ملزم بتسلسل الأحداث حسب المنطق المعتاد لتواليها،

منساقا لتداعي لحظتها الآنية حتّى لا أتذرع بصعوبة التنسيق فانصرف عن المتابعة"[37]. زمن الخطاب هنا مقترن بزمن السرد عام 1996، مقترن بعمر ابنته زينب خمس سنوات، فعاد إلى زمن ماضي ومن ثمّ زمن حاضر الذي حدّد بدايته:

"بدأت كتابتي إزاء زمن موغل، صيف عام ١٩٧١م، انطلاقا من مسرح الخليج في منطقة النقرة، أبدأ كتابتي عن الزمن الآن، صيف ٢٠١٠، انطلاقا من مسرح الخليج في منطقة السالمية، بيت عربيّ مترامي المساحة، ينفتح بابه على ناصية طريق خلفية، بما يمنحه ميزة العزلة"[38]. وتداخل الأزمنة يفيد المفارقة الزمنية وإشارتها المفيدة (الآن) لزمن الحاضر للكتابة. وهو ما يتكرر طوال الرواية:

"هنا الآن ليلة صيفية، مبنى مسرح الخليج، السالمية، داخل غرفتي تحوّطني رفوف ملفاتي، أواجه صندوقك الحامل اسمك، استعيد صباحي الخريفي الدمشقي ذاك قبل خمس وعشرين سنة، تحضرني مفردات المكان نابضة حياة، الساحة والناس ومنبه سيارة قريبة، أكاد أسمع لغط ركاب الباص، هذا كله بالأثر الذي يخلفه لا يعدو كونه أمرا ثانويا إزاء مشهد محدد ضمن مساحة صغيرة محصورة بركبة ساقي اليسرى مقاعد الباص تفتقر لمساند تفصلها عن بعضها، جلوسنا عهود وأنا متقاربين، كفّانا ما زالتا معا"[39]. لكون السرد هنا جزء من رسالة أبوية من (المنسي) إلى ابنته (زينب)، موضحا مدى الحب التي ربطته بأمها عهود في دمشق.وزمن الخطاب قد يؤكد على الذاتيّة المتأصلة في تمثيل اللغة للزمن، ويتحدى فكرة وجود زمن موضوعي يتم تجربته عالميًا. بدلاً من ذلك، يصبح الزمن تجربة شخصيّة معاشه، تتأثر بشكل كبير باللغة وهياكل السرد. وهنا مفارقة بين زمنيّن، زمن القول (هنا الآن ليلة صيفية) وزمن الإخبار (استعيد زمنيّ الخريفي الدمشقي) مع قرينة إشارية له (قبل خمس وعشرين سنة)، حيث الماضي المركب بين زمن القول وزمن الإخبار، فكلاهما يتضمن فعلا واقع.

قدّم هارولد فاينرش، مفهوما موسع اللمفارقة الزمنيّة، ساهم في تشكيل فهم الزمن في اللغة. وتمتد إسهامفاينرش في اللسانيّات لتشمل مجموعة واسعة من الموضوعات، لكن عمله حول المفارقة الزمنيّة يبرز بسبب توسعه في الموضوع. فقد تناول تعقيدات كيفية تمثيل اللغة وتنظيمها، وتفسير الزمن، متحديًا المفاهيم التقليدية ومقدمًا وجهات نظر جديدة.فتستند استكشافات فاينرش للمفارقة الزمنيّة إلى فهمه لأزمنة الأفعال ودورها في تشكيل التصور للزمن، وزعم أن الأزمنة ليست مجرد أدوات لغوية، بل هي متشابكة بعمق مع العمليات المعرفية. فالأزمنة بالنسبة لفاينرش، أكثر من كونها بنى نحوية؛ إنها نوافذ إلى فهم الإنسان للزمن. تعكس محاولاتنا لتنظيم، تصنيف، وفهم التجارب الزمنيّة.ويميّز فاينرش بين الأزمنة التعليقية Comment Time(الحاضر، الماضي المركب، والمستقبل) وهو ما يمكن أن يتضمن التعليقات على قول، أو نسبة القول لقائل معلوم أو مجهول. وبين الأزمنة السرديّةNarration Time (اللاحق، السابق، المتزامن والمقحم).[40]

ولعل الزمن التعليقي، منتشر في سرد المدونة المُختارة لإسماعيل، كما مثل هذا التعليق من الذات المتكلّمة في رواية على عهدة حنظلة:

"الأشياء تعيد إنتاج نفسها، فقاعة الوعي بانبعاثها من محيطها المظلم باتجاه ما هو حليبي مرورا بالرمادي. ناجي. صوته الطفولي يهيب بك، تعرفه ليس سوى حنظلتك، لو قلت له. أنا هنا. قال لك. لم تغب سوى تسع ساعات[41]". حيث تتبادل الأفعال هنا دورها، ما بين الحاضر، والماضي، والمستقبل، مع "لو" التي تفيد صيغة الفعل المشروط للحاضر المعلّق. كذلك هنا موقف المتكلّم الذي يحاول الاسترجاع من العدم (الغيبوبة) إلى الحدث (الحياة).وهو ما حاوله فاينرش في رسم تمييز بين التسلسل الهدفي للأحداث (الزمن التاريخي) وتمثيل تلك الأحداث ذاتيّا في الخطاب (الزمن السرديّ)،حيث تظهر المفارقة الزمنيّة عندما تتقاطع هذه العوالم الزمنيّة وأحيانًا تتصادم: " إن أزمنة الفعل خالية من كلّ إحالة زمنيّة، وهي تمثل علامات عنيدة أي ذات درجة عالية من التواتر، تشير إلى موقف المتكلّم (تعليق أو قص) وإلى منظور تكلّم (استرجاع أو استباق أو من الدرجة صفر)" [42].

تناول فاينرش أيضًا الجوانب الممكنة للزمنيّة، مستكشفًا كيف يمكن للغة التعبير عن الإمكانيات، والشكوك، والأمور الافتراضية فيما يتعلق بالزمن. وهذا يضيف طبقة أخرى إلى المفارقة الزمنيّة، حيث يتنقل المتحدثون ليس فقط فيما حدث أو سيحدث، ولكن فيما قد يحدث أو كان من الممكن أن يحدث.لهذا، فالسرد عند فاينرش ليس مجرد تسلسلات للأحداث، بل هي هياكل زمنيّة معقدة تعكس فهم الإنسان وتجربة الزمن[43]. وهو ما قد ينعكس في موقف المنسي في رواية العنقاء حيال استدعاء الذاكرة للسرد، وما يمكن أن يصححه في ذلك الزمن الماضي بوعي الحاضر نحو المستقبل:

"وحدها الذاكرة باقية الشكل الذي يؤهلني استعيدني أسألني، لو أن وعي صبي مدرسة المتنبي المتوسطة ظلّ يراوح مكانه من غير اتساع قوسه، لو استمر فرّاش مسرح الخليج وقد التحق بعمله عام ١٩٧١ فرّاشا لكلّ العقود التي تلت، لو لم يتدخل صقر الرشود وعبدالعزيز السريّع في حينه يلحقان الفراش المعني طالبا بمعهد الدراسات المسرحية ومنه إلى المعهد العالي للفنون المسرحية بكالوريوس أدب ونقد مسرحي، لو لم ألتق بإحداهن، لتنشأ بيننا قصة حب عدائي جارف، لو لم أتزوجها أو تتزوجني، لو لم يكن هناك اجتياح الثاني من أغسطس ١٩٩٠ لتتحول الكويت محافظة النداء بناء على قرار نظام عراقي، من أجل كشف المستور يلجأ بعض الكتّاب إلى طرح تساؤلات توحي بإجابتها، تراني وُفقتُ لتقديم صورة بورتريه لك عن أبيك، أنت في الغياب والإجابة الحاضرة لدي لا[44]" . ولعلّ ضمير المتكلّم هنا، جاء مُحيلا للذات الواعية في موقفها من الزمن في حدث الرواية السرديّ.

الخاتمة

تُظهر الدراسة كيف يستطيع الزمن، بأبعاده المختلفة والمتداخلة، أن يُعيد تشكيل تجربة القراءة والإدراك النقديّ، معززًا بذلك الإثراء والتعقيد في الأعمال الروائيّة. من خلال تحليل أنماط السرد المختلفة ودور المفارقة الزمنيّة، ألقت الدراسة الضوء على البُعد الإبداعيّ الذي يحمله الزمن كعنصر فاعل ومؤثر في بنية الرواية وتطور شخصياتها.فالمفارقة الزمنيّة، بكلّ تجلياتها وتقنياتها، لم تُعد مجرد أداة بيانية أو فنيّة تُستخدم لتجميل النص، بل هي عنصر سرديّتداوليّ يحمل في طياته القدرة على تعميق الرؤية الفلسفية والوجودية للعمل الأدبيّ. من خلال استكشاف الأبعاد المتعددة للزمن، من الماضي والحاضر إلى المستقبل المتخيل، يُمكن للكاتب أن يُقدم تأملات عميقة حول الحياة، الذاكرة، الهوية، والتغيرات الإنسانيّة والاجتماعيّة.فيعترف كلا فاينريشوبنفنيّست بالتمييز بين الزمن التاريخي والزمن السرديّ، مؤكدّين على التوتر الذي ينشأ عندما تتقاطع هذه الأشكال الزمنيّة في التمثيل اللغوي. ويسلط كلّ منهما الضوء على أهمية أزمنة الأفعال كأدوات تشكل تصورنا وفهمنا للزمن. كما يؤكدان على الذاتيّة المتأصلة في التمثيل اللغوي للزمن.ومع ذلك، بينما يناقش كلا من اللغويين دور أزمنة الأفعال في تمثيل الزمن، ليضع بنفنيّست تركيزًا أقوى على الذاتيّة للأزمنة، بينما يتناول فاينرش بشكل أعمق الجوانب الممكنة للزمنيّة، حيث يعتقد فاينرش بكيفية تعبير اللغة عن الإمكانيات والشكوك فيما يتعلق بالزمن وهو جانب فريد من عمله. في حين، لم يتم التطرق إليه بشكل بارز من قبل بنفنيّست الذي ركّز على الذاتيّة المتأصلة في التمثيل اللغوي للزمن أكثر وضوحًا، مما يشير إلى وجهة نظر أكثر نسبية للتجربة الزمنيّة.

وبناءً على ما حُلِّل ونوقش، يُرجى أن تُعدّ هذه الدراسة خطوة مُهمّة في استكشاف إثراء النقاش الأكاديميّ بخصوص استعمال الزمن في سرد إسماعيل الروائيّ، وتقديم إضاءات جديدة قد تسهم في توسيع آفاق البحث النقديّ في الدراسات السرديّة. ومن هنا، يُمكن القول إنّ إسماعيل فهد إسماعيل، ومن خلال استثماره في المفارقات الزمنيّة، لم يُقدم لنا مجرد روايات، بل عوالم متعددة الأبعاد تدعو الباحث والقارئ معاللغوص أكثر في أعماق الزمن وتجلياته المفتوحة.

النتائج

انتهت الدراسة إلى جملة من النتائج الخاصّة بالمفارقة الزمنيّة في سرد إسماعيل فهد إسماعيل الروائيّ، وأثرها في بنائه السرديّ.وهي تشكّل جزءا من الأشكال الزمنيّة التالية:

1- كثرة استعمال السرد اللاحق والسرد المتزامن؛ حيث يبدأ السرد من موقف محدد في الماضي، ثمّ ينتقل إلى الحاضر، مما يخلق تباينًا زمنيًا يعزّز العمق السرديّ، ويسمح بمقارنة الأحداث والتغيرات عبر الزمن.
2- الاستعانة بالاستذكار والتأمل الذاتيّ. فقد استخدمت الذات المتكلّمة الذاكرة أداة للتأمّل الذاتيّ،مستعيدةً أحداثًا مختلفة من الماضي. وهذا يستظهر المفارقة الزمنية؛ إذ تُقدَّم الأحداث تقديمًا ليس كما حدثت بالضرورة، ولكن كما تتذكرها الذات المتكلّمة أو حسَب الأهمّية التي تكتسيها بالنسبة إليها.
3- تقديم الأحداث في سياق التفاعل بين الماضي والحاضر. الأمر الذي دفع الذات المتكلّمة إلى البحث في الكيفيّة التي تؤثّر بها الأحداث الماضية في الحاضر، مما عقّد حركة الزمن في السرد، وكان لها تأثير بارزفي بناء الشخصيات وتطوّرها.
4- قدرة الذات المتكلّمة بما توافر لها من تجارب إنسانيّةعلى تمكّنها من تعزيز التأثير العاطفيّ فيالسرد، وتقديم تجربة ثريّة ومتعددة الأبعاد للمتلقي؛ وذلك انطلاقًا من استخدام تقنيّة المفارقة الزمنيّة في نصوصه الروائيّة؛إذ ألفيناهيُقدّم الأحداث تقديمًا لا يكاد يخلو منتعقيدات الذاكرة والتجربة الإنسانيّة، ممّا أسهم في خلق تجربة جماليّة أكثر ثراء وتعقيدًا.
5- الذاكرة والتأمل الذاتيّ:حيث يستخدم السارد الذاكرة كأداة للتأمل الذاتيّ، مستعيدًا أحداثًا مختلفة من الماضي. هذا يعكس المفارقة الزمنيّة؛ إذ لا تُقدَّم الأحداث تقديمًا مباشرًا كما حدثت بالضرورة، ولكن كما يتذكرها السارد بحسب أهميّتها له.
6- التفاعل بين الماضي والحاضر:حيث تقديم الأحداث في سياق تفاعلي بين الماضي والحاضر. فيتأمل السارد في كيفية تأثير الأحداث الماضية على الحاضر، مما يعكس تعقيدات الزمن وتأثيره على الشخصيات وتطورها.

التأثير العاطفي والتجربة الإنسانيّة: من خلال استخدام المفارقة الزمنيّة، تمكّن الروائيّ إسماعيل فهد إسماعيل من تعزيز التأثير العاطفي للسرد وتقديم تجربة غنية ومتعددة الأبعاد للمتلقي. فيُقدِّم الأحداث تقديمًاتُبرِز تعقيدات الذاكرة والتجربة الإنسانيّة.وهذا يساعد على خلق تجربة أكثر غنى وتعقيدًا للمتلقي.فيمكن للمفارقة الزمنيّة أن تُستخدم لتعزيز العمق السرديّ والتأثير العاطفيّ في الأعمال الأدبيّة.

8- الهوامش

[1] شحيّد. جمال. (2019). الرواية.. مقدمات قصيرة. الطبعة الأولى. قطر: سلسلة كتاب كتارا الدورية، ينظر ص 49

[2]جينيت، جيرار: خطاب الحكاية، ينظر ص 46

[3]Prince,Gerald. (1987). A Dictionary of Narratology. London :University of Nebraska Press

, 58 -57 p جيرار جينيت: خطاب الحكاية، ينظر ص 231

[4]في حضرة العنقاء والخل الوفي، ص 9-10

[5]السبيليات، ص 8

[6]مسك، ص 7

[7]عندما اسمك في طريق.. ورأسك في طريق أخرى، ص 12

[8]في حضرة العنقاء، ص. 10.

[9] جينيت، خطاب الحكاية، ص. 231.

[10]طيور التاجي، ص. 7.

[11]طيور التاجي، ص. 10.

[12]مسك، ص 8-9

[13]المحادين،التقنيات السرديّة في روايات عبد الرحمن منيف. الطبعة الأولى. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.نظر ص 54

[14] محمد العمامي: الراوي في السرد العربي المعاصر – رواية الثمانينات بتونس، ص 311

[15]على عهدة حنظلة، ص 16

[16]الظهور الثاني لابن لعبون، ص 427

[17]طيور التاجي، ص 363-364

[18]فضل، صلاح. (1986). منهج الواقعيّة في الإبداع الأدبيّ. الطبعة الثالثة. بيروت: دار الآفاق الجديدةينظر ص 100

[19]فينو، غارسيا. (1999). الرواية والواقع. ترجمة: محمد صوف. مجلة نوافذ، عدد 10، ديسمبر 1999. جدة: النادي الأدبيّ الثقافي.
، ينظر ص 97

[20]ويلك، رينيه. (1987). نظرية الأدب. ترجمة: محي الدين صبحي. الطبعة الثانية. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشرينظر ص 229

[21]العيد، يمنى. (1990). تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي. الطبعة الأولى. بيروت: دار الفارابي. ينظر ص 29

[22]بوطيِّب. عبد العالي. (2019). الزمن في الرواية مقدمات قصيرة. الطبعة الأولى. قطر: سلسلة كتب كتارا الدورية، ص 77

[23] القاضي. محمد. (2010). معجم السرديّات. الطبعة الأولى. تونس: دار محمد علي، ينظر ص 399

[24] الخبو. محمد. (2014). الخطاب القصصي في الرواية العربية المعاصرة. الطبعة الأولى. صفاقس، تونس: مكتبة علاء الدين، ص 112

[25] كينان. شلومت ريمون. (2010). التخييل القصصي الشعرية المعاصرة. ترجمة لحسن أحمامة. الطبعة الأولى. سوريا: دار التكوين، ينظر ص 73

[26] بوطيِّب. عبد العالي. (2019). الزمن في الرواية مقدمات قصيرة. الطبعة الأولى. قطر: سلسلة كتب كتارا الدورية، ص 41

[27]الظهور الثاني لابن لعبون، ص13

[28]الظهور الثاني، مرجع سابق، ص 14-15

[29] السابق، ص 14

[30]في حضرة العنقاء، ص74

[31] جينيت. جيرار. (1997). خطاب الحكاية بحث في المنهج. ترجمة محمد معتصم وآخرون. الطبعة الثانية. القاهرة: المشروع القومي للترجمة، ينظر ص 47

[32]السيبيليات ، ص13-14

[33]ينظر القاموس الموسوعي التداوليّ، ص 485

[34]ينظر السابق، ص 481

[35]السبيليات، ص 9

[36]موشلر. القاموس الموسوعي للتداوليّة. ص 481-482

[37]العنقاء، ص 9

[38]العنقاء، ص 10

[39]في حضرة العنقاء، ص 71

[40]شحيّد. الرواية مقدمات قصيرة. ينظر ص 51

[41]على عهدة حنظلة، ص 148

[42] موشلر. جاك. القاموس الموسوعي للتداوليّة. ص 483

[43] المرجع السابق، ص 483

[44]في حضرة العنقاء، ص 17